الشعر العربي في معركة فلسطين والوحدة العربية

بقلم صابر فلحوط

أيها الاصدقاء ...

يا حملة الاقلام الثائرة ، التي تضيء للشعوب طريقها نحو العزة والحرر والكرامة ... يسعدني أن ألتقي بكم ، وأتحدث اليكم من خلال هذه السطور التي تحكي دور الشعر العربي في معركة تحرير فلسطين والوحدة العربية .. مؤكداً ان على عاتق الكتاب الثوريين في اسيا وافريقيا مسؤولية نضالية كبرى ، وواجبا عظيما يحتاج الى الاخلاص للعقيدة والتفاني في سبيل الحرية والتضحية من أجل تحقيق المجد للجماهير الكادحة والقوى التقدمية المناضلة ...

وجدير بنا أيها الاعزاء ان ندرك ، أن تاريخا بطوليا جديدا يكتب هذه الايام تفارني اسيا وافريقيا وجميع القوى التقدمية الثورية في العالم ...

فلتكن اقلام الكتاب ، وهج الضياء ، وحداء القافلة ، وطليعة الموكب الزاحف نحو الفجر ...

وليكن نضال الكتاب ، قدوة في التضحية ، ومثالا في الاخلاص للكلمة المسؤولة ، ومنارة تتجه صوبها الاجيال وهي تحرق المراحل في طريقها الى النصر العظيم على أشلاء الاستعمار والامبريالية العالمية .

أيها الاخوة ...

كان الشعر ، وما يزال ، عطاء النفوس الخيرة ، وفيض العواطف النبيلة ، ومرآة الحياة المتفتحة ... وهو خالق يعطي ، ومستجد يأخذ ، وعدسة تصور ، وصدى يحكي ... كما انه انفعال مع الاحداث ، وابداع وتخطيط لقيم الجمال ، وجمال الطبيعة ، وروعة الحياة ...

وربما قال قائل ، وله بعض الحق ، ما بالنا نتحدث عن الشعر في عصر العلم والمنطق والصناعة ؟

أيصعد القوم الى القمر ، يفلحون أرضه ، ويفجرون صخره ، ونحن ما نزال نغني للقمر ، هائمين به ، مصلين له ، معجبين بروعته وبهائه ؟..

أوما برحنا نتحدث عن الشعر وغيره من صنوف الكلام ، وقد بات ثابتا ان اختراع مسمار واحد يدق صدر الاعداء ، واستنبات بذرة تمنع جوع محروم ، ونسج كنزة تقي من البرد جلد فقير ، كل هذه الامور تسوى ألف بيت من الشعر ، وألف بحر من النثر ...

وهذا الكلام ايها الاخوة فيه من الصحة والصدق بمقدار ما فيه من الخطأ وقصر النظر .. لاننا مهما سمونا في مدارج الحضارة ، ورفعنا من شامخات المباني وناطحات السحاب ، وركبنا من الاقمار والكواكب ، نبقى مدينين للكلمة الاولى ، للكلمة الوعد ، للكلمة المرشدة المسؤولة ...

ومهما بلغت حضارة الطين من قوة في الدعائم والاسس ، وتبهرج في الفنون وجمالية الصناعة .. تبقى هذه الحضارة ، او بالاحرى ، تبقى روح انسان حضارة الرماد ، بحاجة الى غوث روحي ، وحنين عاطفي ، تبقى بشغف ولهفة الى بحة الناي ، وهمسة الرباب ، وسراج الكوخ ، وسقسقة العصفور ، ورنين موال البدوية ، وحديث رعيان القرية ...

كما ان السؤال نفسه لا ينتهي ، وفي هذا العصر بالذات ، حول مدى امكانية مساهمة الشعر في بناء الحضارة الحديثة ذات الطوابق المئين ، والصواريخ الذرية ، والطائرات التي تفزو النجوم ...

والحق ان الامر أبسط مما يتصوره المتشائمون ، كما انه أرحب مما يأمل المتفائلون ..

فالشعر يفرض نفسه ، ويحدد موقعه من دائرة الحضارة ... ويخلق وجوده في وجود الصناعة والعلم ... كما انه يزرع أنفاسه الندية الطيبة بين لهاث الحياة المتعبة ...

وهو اذ يؤكد ذاته العظيمة رغم قيود الواقع وأشواكه ومعضلاته ، فيتخطى الحواجز ، ويتجاوز العقبات ، فانه ينسجم مع انسانية الانسان وروحه ووجوده الخلاق وكيانه اللامحدود ... كما انه ينسجم مع العبقرية التي تتجدد مع الزمان ، وتقفز فوق اتفام الشك والضعف والصمت ، لتبرز في كل عصر وكأنها منه وله ، وخلقت لتقوده وتكون العلامة الدالة عليه ، والضياء النابع منه ...

فلسطين من خلال التاريخ

فلسطين عربية أرضا وشعبا :

كانت فلسطين منذ الازل جزءا لا يتجزأ من ديار الشام ، وكانت منذ الفتح الاسلامي جندا من أجناد الشام الخمسة وهي : فلسطين ، الاردن ، دمشق ، حمص ، قنسرين ... وكانت مدينة اللد قصبة جند فلسطين حتى جاء سليمان بن عبد الملك أميرا لجند فلسطين من قبل أخيه الوليد بن عبد الملك فابتنى مدينة الرملة وبنى فيها قصره وجعلها العاصمة الى أن انتقلت الى بيت المقدس فيما بعد .

وفلسطين عربية منذ ما درج التاريخ على التراب العربي ، بل انها قلب الوطن العربي الكبير . وقد أطلق على فلسطين قديما اسم أرض كنعان لانها كانت وطن العرب الكنعانيين الذين نزحوا من جزيرة العرب حوالي (٢٥٠٠) سنة قبل الميلاد ...

أما اسم فلسطين فقد أطلق عليها قبل الميلاد بنحو ألف ومائتي سنة ، نسبة الى احدى القبائل التي نزلت شواطئها بين يافا وغزة ، وبقيت فلسطين مرتبطة بوحدة ديار الشام حتى الحكم العثماني حيث قسمت الى ثلاث متصرفيات ...

وقد هب عرب فلسطين مع اخوتهم أبناء العروبة في كل مكان للثورة على الحكم العثماني وتحقيق الاستقلال والحرية ... وقد اشترك ابناء فلسطين بجميع الجمعيات السرية والعلنية التي تألفت للنضال ضد الحكم العثماني وقد تلاقت دماء مناضلي فلسطين مع دماء ابناء دمشق وبغداد وغيرها من اجل القضاء على المستعمر العثماني ..

وقد أعلنت الثورة العربية الاولى في ١٠ حزيران ١٩١٦ واخذ الشباب العربي من كل مكان يتسابقون ويلتحقون بالثورة ، حتى تحولت من الحجاز الى الشام ، وزال الحكم العثماني عن البلاد وانتصرت الثورة والتي كانت عربية استقلالية غير اقليمية ، وارتفع العلم العربي ذو الالوان الاربعة التي يمثل كل لون منها شعارا لعهد من عهود العرب المجيدة .

وقد اشترط القادة العرب على الانكليز وحلفائهم اثناء الحرب العالمية الاولى ان تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين وأضنه شمالا حتى البحر الهندي جنوبا ، ومن فارس وخليج البصرة شرقا حتى البحر المتوسط والبحر الاحمر غربا ..

وعد بلفور جذور النكبة :

وفي هذه الاثناء كانت تجري بين الانكليز وزعماء الصهيونية في بريطانيا مفاوضات أسفرت عن تصريح بلفور الذي يعتبر فاتحة الكوارث على العرب وهو بصورة كتاب صادر بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ موقعا من بلفور وزير خارجية بريطانيا انذاك وموجها الى اللورد روشيلد ، وهذا نصه :

عزيزي اللورد روتشيلد ...

يسرني أن أبعث اليكم بأسم حكومة جلالة الملك بالتصريح التالي، تصريح العطف على الاماني اليهودية الصهيونية الذي رفع الى الوزارة ووافقت عليه : « ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية على ان يفهم جليا أنه لا يجوز عمل شيء قد يضير الحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا الحقوق او المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلاد غيرها » .

ومن الواضح ان هذا الوعد لم يكن التزاما دوليا في ذاته ، وانما هو مجرد عطف وتمنية وتشجيع من جانب واحد ، وتم تكن فلسطين من أملاك بريطانيا حتى يحق لها التصرف فيها لانها تعد بما لا تملك وتهب ما ليس في يدها ، الا ان هذا الوعد كان وثيقة خطيرة جرت على العرب الشؤم وسببت النكبة الكبرى وتشرد عرب فلسطين .

فمع ان اليهود في فلسطين لم يكونوا حين صدور التصريح يزيدون على الخمسين الف نسمة يقابلهم من العرب ٦٥٠ الف نسمة أي ان عدد العرب يزيد على عدد اليهود أكثر من اثنتي عشرة مرة ، فان التصريح ، تصريح بلفور ، جعل اليهود الاصل وتجاهل وجود شعب عربي ، وتجنب حتى ذكر كلمة « عرب » .

قبيل النكبة :

استلم اليهود وعد بلفور كلمات عاطفية مشجعة تغذي آمالهم في انشاء وطن قومي يقيهم من التشرد والضياع في شتى انحاء الدنيا . وانطلقت الالة الصهيونية تجمع المال لتستخدمه في انشاء المعامل والمصانع وشراء السلاح ووسائل التدمير وبناء المستعمرات استعدادا للمعارك المقبلة ، كما توالت بعد ذلك ، وبتشجيع وعون من بريطانيا ودول الاستعمار ، وفود المهاجرين الصهاينة الى فلسطين ، وهنا بدأت المعارك والمظاهرات وشتى صنوف النضال والاحتجاج ضد وعد بلفور ، وضد هذا العدو الصهيوني الغاصب الذي أراد من احتلال فلسطين أن تكون رأس حربة للقضاء على القومية العربية .

الخامس عشر من ايار ـ وتشرد اللاجئين :

وما كاد يتم النصر للحلفاء في الحرب الكونية الثانية ، حتى أسهمت الولايات المتحدة مع بريطانيا في البحث عن حل للمشكلة الفلسطينية ، وتمت اللعبة الناجحة بوضع القضية بين يدي منظمة الامم المتحدة وأعلنت بريطانيا انها ستنهي الانتداب على فلسطين في الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ .

وكان النفوذ الصهيوني والاميركي يجند القوى في المنظمة الدولية الى جانب اليهود ، عندئذ وقف ابناء الامة العربية على باب تجربة عنيفة دامية ، تدعوهم الى اثبات وجودهم وقدرتهم على الاحتفاظ بكيانهم الموروث عن ابائهم . وكانت الجامعة العربية بدولها السبع يومذاك تقف في الميدان ، ولما لم تستطع دولها الاعضاء في المنظمة الدولية اثارة الضمير العالمي ، لان ضميرها هي لم يتحرك للنكبة ، ولان الدول العربية التي يجري البترول من تحتها لم تجرؤ على تهديد مصالح الاستعمار بسلاح النفط ، فقد صدر قرار التقسيم ودوي الرصاص ، وخاضت الجيوش العربية السبعة الحرب التي انتهت بالهدنة على حساب تشرد اتعرب الفلسطينيين الذي أصبحوا تحت كل نجمة جرحا ينبض بالنضال وجيلا يهتف بالعودة .

أيها الاخوة .

كان لا بد من هذه المقدمة الدولية لتدرك المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية ، ونطل من خلالها على دور الشعر في مسؤولياته ومهماته خلال نضال الشعب العربي من أجل تحرير فلسطين العربية .

الشعب العربي في مرحلة النضال الاولى :

لقد واكب الشعر العربي القضية العربية في فلسطين ، ففناها جراحا ثور ، وآمالا تتفتح ، وانتصارات على العدو الغاصب .. كما استطاع أن يكون حداء الثوار المناضلين في المتاريس اللاهبة والميادين الغاضبة ، ونارا محرقة في وجه السياسة الخونة والحكام العملاء .. فقد أشعل الحرب في وجه العدو الحاقد ، كما أثار الرياح في وجه ضعاف النفوس وقصار النظر الذين حسبوا الاحتلال الصهيوني لفلسطين مجرد نزهة طارئة ورحلة عابرة يوم اطمأنوا للوعود الخادعة من كابوسة بريطانيا حتى استمر الداء فاذا به عضال قتال مميت واذا بفلسطين شهيدة حقد الاستعمار وخيانة العملاء ، وذل الاغبياء .. واذا بها كذلك نكسة قومية خطيرة ونكبة عربية لا تعادلها نكبة في تاريخ العالم الحديث ..

وقد تناول الشعر العربي وعد بلفور بشير الشؤم ودليل الجريمة الاول ، فبين للرأي العام مخازيه ، والويلات التي يجرها على الشعب العربي اذا هم تهاونوا امامه وآمنوا شره ..

وها هو الشاعر القروي يتوعد المستعمر الانكليزي مؤكدا له نهاية الظلم ، مبينا ان الانكليز اذا ارادوا اعطاء اليهود الارض والوطن فليكن ذلك من لندن وتوابعها لا من أرض وحقوق العرب ، لان اليهود أحب الى لندن ، ولان بريطانيا أرحب من فلسطين وهم أحق بها من أية بقعة في العالم :

الحق منك ومن وعودك أكبر ... فاحسب حساب الحق يا متجبر
تعد الوعود وتقتضي انجازها ... مهج العباد خسئت يا مستعمر
لو كنت من اهل المكارم لم تكن ... من جيب غيرك محسنا يا بلفر

ثم يهدد :

تطوي دوارعك الخضم وربما ... طويت بدمعة ثاكل تتحدر
للسلم نحن كما علمت وللوغى ... منا المسيح أتى ومنا عنتر

ويشرح القروي الشؤم الذي جرته وثيقة الوعد الكاذبة من ويلات على العرب ، وكيف أصبحت وكأنها تاريخ حقيقي ، ووعد رسمي ينفي كل ما عداه من حقائق واضحة كالشمس :

من لعرض الحقائق ... من أخادع فاسق
سارق يدري به ... نصف مليون سارق
في فلسطين آية ... للرسول المنافق
أو تنفي وثيقة ... عشرات الوثائق
كلكم جد آفك ... كذبونا بصادق

ويتابع الشاعر ابو ماضي رسالة القروي وامثاله في التنديد بوعد بلفور والسخرية منه فيقول :

ألا ليت بلفور أعطاكم ... بلادا له لا بلادا لنا
فلندن أرحب من قدسنا ... وأنتم أحب الى لندنا

ويتوعد أيضا :

وكانت لاجدادنا قبلنا ... وتبقى لاحفادنا بعدنا
وانا سنجعل من ارضها ... لنا موطنا ولكم مدفنا

الشعر والهجرة اليهودية :

وقد تناول الشعر العربي الهجرة اليهودية الى فلسطين وأوضح للرأي العام العربي والعالمي خطورة تدفق مئات الالاف من اليهود الى الارض العربية ، كما بين المخازي التي يحصدها الشعب العربي الفلسطيني بسبب هذا الاحتلال الجديد فيخاطب الشاعر طوقان الانكليز ساخرا :

قد شهدنا لعهدكم بالعدالة ... وختمنا لجندكم بالبساله
وعرفنا بكم صديقا وفيا ... كيف ننسى انتدابه واحتلاله

وعندما طفى طوفان اليهود المهاجرين قال طوقان :

منذ احتللتم وشؤم العيش يرهقنا ... فقرا وجورا وانعاسا وافسادا
بفضلكم قد طفى طوفان هجرتهم ... وكان وعدا تلقيناه ايعادا

وتحدث شعر طوقان بعد ذلك عن سبل تهريب اليهود وتسللهم المشبوه وطرقهم المريبة باسم السياحة حينا والتجارة أحيانا حتى أمكنوا القبضة على الارض العربية والعرب في شبه غفوة من اثر تخدير الوعود البريطانية :

يهاجر ألف ثم ألف مهربا ... ويدخل ألف سائح غير آيب
وفي البحر الاف كان عبابه ... وأمواجه مشحونة في المراكب
بني وطني هل يقظة بعد رقدة ... وهل من شعاع بين تلك الغياهب

وينحي الشعر العربي باللائمة على تجار النفط في الوطن العربي الذين لم يقفوا في وجه الشركات ب الاحتكارية التي تمد اليهود بالمال والسلاح والعون :

يا بائع النفط صاروخا يهددنا ... ومدفعا بلهيب الموت مختضبا
ليس العدو الذي بالنار واجهنا ... لكن من وهبوه النار والحطبا

وقد حمل الشعب العربي على سماسرة الوطن ، وتجار الكرامة من العملاء والرجعيين وطلاب الزعامات الذين اشتغلوا بالتناحر والانانيات والمصالح الشخصية متناسين ما يفعله المستعمر الصهيوني الوافد فيقذفهم الشاعر طوقان بهذه السخرية :

أما سماسرة البلاد فعصبة ... عار على أهل البلاد بقاؤها
هم أهل نجدتها وان أنكرتهم ... وهم ـ وأنف الراغم ـ زعماؤها
وحماتها وبهم يتم خرابها ... وعلى يديهم بيعها وشراؤها

الشعر العربي والخامس عشر من ايار :

عندما انطلقت الجيوش العربية الى ساحات الدم والحديد في فلسطين العربية كانت تحمل في قلوبها ايمانا بالنصر وعزيمة جبارة لا تفتر ، كما كانت تحمل في أيديها سلاحا شبه فاسد وعلى ظهورها قيادات وحكومات معظمها مرتبط مع الاستعمار ، ومع ذلك خاضت الجيوش المعركة ، وخرجت منها تجر جراح الالم والخيبة والانكسار تاركة الضحايا الغوالي في تراب فلسطين تنادي ملء سمع الزمان ، هاتفة بالعودة مؤكدة النصر في معركة المصير العربي .

فلينشد الشاعر أحمد حجازي لشهر ايار لحن الالم والحرقة :

نحن ما زلنا نغني
لك يا شهر ايار يا شهر النهار
نحن ما زلنا نغني
لك يا شهر التمني
يومك الخامس عشر
آه يا يوم الضحايا والهزيمه
آه يا يوم الجريمه
نحن لم نبخل عليه بدم ... لكنه ضن علينا بانتصار
وبمرأى من دوالينا ... بمرأى من هزار
انتهينا عنك يا يافا وتهنا
دون ان نشبع من شم العرار ..

وكلما عاد أيار حمل في جيبه آلاف الصور القاتمة والذكريات المريرة :

وعاد أيار والجنبات ما فتئت ... مصبوغة بدخان الخزي والعار
واللاجئون جراحات مخضبة ... بالحقد بالصمت بالالام بالثار
والساح لما تزل غابا من الالم
معجونة بسياط الجوع والسقم
تاه الرعاة فلا تسأل عن الغنم
ما بين ظفر وناب والتهام فم (1)

ويعاتب الشاعر الناعوري يوم الخامس عشر من ايار عتابا مرا فيه لعنة الزمان ، وأقذع ألوان الشتيمة :

يا تعنة الزمن البغيض ... وأسوأ الايام ذكرا
هذي ضحاياك الكثار ... تميتها الايام قهرا
يا صورة الجبن الاذل ... وأبغض الايام طرا
لا كنت من يوم وبه ... صار انتخاء العرب غدرا

وقد اعتبر الشعر العربي أن سبب الخامس عشر من ايار ليس عصابات اسرائيل وحدها وانما المستعمر الغربي بشكل عام لان جميع الايادي الملوثة المتآمرة اشتركت في صنع الجريمة البشعة وتمثيل فصول هذه المأساة الكبرى فليقل الشاعر هارون هاشم رشيد :

لولا خداع الانكليز وغدرهم ... ما عاث في أرض الاسود كلاب
والغرب يا للغرب ان قدومه ... نحو البلاد مصيبة وخراب
هو أخطبوط فاجر مستعمر ... في كل ناحية له أذناب

الشعر العربي بعد النكبة :

لم يستسلم الشعر العربي ، كما لم يستسلم الشعب العربي للامر الواقع في فلسطين بل بقي رغم هزيمة عام ١٩٤٨ يدفع قوافل النضال للمعركة ، ويعد العدة للنصر ، ويطرح الشعارات الثورية ويهيىء القوى ليوم المعركة الفاصلة .

وهنا لم يستطع الشعر بعد النكبة ان يخفي دفقات الالم والحسرة والضياع الذي أصاب اللاجئين فعندما يسأل الشاعر العربي الفلسطيني عن نفسه يجيب بشير قبطي :

أنا من تلال الرملة البيضاء ذهبها الاصيل
من سفح غزة ، من ربوع اللد ، تحضنها السهول
أنا من ضلوع القدس شرحها بمبضعه الدخيل

كما ان الشعر العربي لم يعترف بقرار التقسيم ولم يرض عن قرارات الامم المتحدة لانها كانت منتهى الجور والظلم والتعسف الذي قضى بتشرد العرب الفلسطينيين واستيطان العصابات المهاجرة الى غير ارضها ظلما وعدوانا .

فليغضب الشاعر علي محمود طه ، وليشد العيون صوب الفجر ، وليشحذ الهمم نحو النصر :

أخي جاوز الظالمون المدى ... فحق الجهاد وحق الفدا
وليسوا بغير صليل السيوف ... يجيبون صوتا لنا او صدى

وليصرخ الشاعر يوسف الخطيب في وجه دعاة التقسيم :

أنا ثورة أنا مارد جبار ... لا الريح تخمدني ولا الاعصار
سيأمد في الافاق ألسنة اللظى ... حمرا لها في الخافقين أوار
ولاحرقن الليل حتى تنجلي ... أسدافه فتوقدي يا نار
للميتين جراحهم ودموعهم ... ولجذوتي ساح الوغى والثار
أنا للحياة ولن أظل مشردا ... أقسمت لا ارضى ولا اختار
أنا ثورة عربية جبارة ... حتى تعاد الى ذويها الدار

وقد اتسم الشعر العربي بطابع الثورة والتمرد والدعوة الى مواصلة الكفاح ، وتقديم الاضاحي من اجل العودة مستلهما الماضي العربي مزينا روعة المستقبل بعد الظفر في معارك التحرير .

(1) من شعر « صابر فلحوط » .

الشعر العربي والسلام :

من البديهي ان الامة العربية امة سلام ومحبة تاريخا وعقيدة ومسيرة واخلاقا ، الا انها لا تستطيع ان تغمض عينيها على السهام تفتك بها ، والذئاب تغير عليها ، لهذا كان الشعر العربي منطقيا في دعوته للسلام لانه جعل السلام هدفا وغاية مقدسة بعد تحرير اجزاء وطننا المسلوبة ونوالنا حريتنا وكرامتنا المعتدى عليها من قبل الاستعمار واعوانه ، وقد كان الشعر العربي هدى لهذه المبادىء الواضحة والتي لا تحتاج الى فلسفة او نظريات ..

ومن هذا الميدان انطلق الشاعر سليمان العيسى عندما لا يرى مبررا للهدوء والاستقرار الا بعد النصر والكرامة :

حملت في شفتي النار والالما هما جناحاي في الزحف العظيم هما
كفرت بالشمس ان تشرق على بلدي الا تلثم ارضا حرة وفما
كفرت بالحب ان مدت جوانحه على حبيبين حام الذل حولهما

ومن هذا المنطلق يرى الشاعر خليل خوري السلام الذي نحبه ونفنيه بعدما نحقق آمالنا ونحرر ارضنا ونغني روعة فجرنا :

ربما غنيت لحنا للسلام
بعد عام ، بعد عامين ثلاثة
الف عام
غير اني لن اغني الان ما دام السلام
حائلا يمنع عن فجري انبعاثه

الشعر وحرب التحرير الشعبية :

وقد تجاوب الشعر العربي مع آمال الجماهير العربية الكادحة ، ومع الحل الثوري لقضية فلسطين ، وهو حرب التحرير الشعبية التي تبناها الطلائع العربية المناضلة .. فشرع يحث الاجيال من اجل التمرد والثورة على الواقع الاسود الفاسد ، ويدعو الطلائع للانضمام لكتائب التحرير الشعبية منطلقا من ظلام الواقع ليصنع فجر المستقبل المشرق .. فهو يشهد زخم الملايين ، وتمرد الجماهير ، ولهب الثورة العربية في كل ميدان وساح ، فيشهد خالد وطارق والجراح من خلال بطولات ثوار الجنوب ومغاوير العاصفة وطلائع حرب التحرير الشعبية فينشد للجراح على دروب النصر :

دقي يد القدر
والقي السفين الى الشطآن وانتظري
المنقذ الشعب عاد اليوم فاعتمري
عمامة من دم مهدور نصر
هذي الطلائع غني موكب الظفر
تململي احرقي الاقباد وانتصري
فطارق عاد يا شطآننا انفجري
موجا من اللهب
صواعقا من جحيم الموت والغضب
وغمس راية من جرح امتنا
ونشريها ضحى مخضوضر الشهب
وعمري قلعة التاريخ شامخة
صخورها من جراح الفتية النجب
غدا وليس غدا الا لثورتنا
لنا لامتنا في زحفها العربي (1)

من فلسطين الى فيتنام :

ان الشعر العربي ، وهو يصارع الاستعمار ، ويدعو الجماهير العربية الكادحة للثورة وخوض المعركة ضد العدو الغاصب ، فانه يساهم بشكل جدي وفعال في تحرير الشعوب الصديقة المكافحة من اجل حريتها وعزتها وكرامتها ..

فتحطيم الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، والقضاء على نفوذ شركات النفط الاحتكارية في الوطن العربي ، وتحرير ارض الجنوب العربي من المستعمر البريطاني واذنابه ، واذلال الدوائر الاستعمارية ، وانهاء وجود العملاء والرجعيين من الارض العربية كل هذه الامور مساهمة جدية وفعالة في تحرير فيتنام وغيرها من الدول الصديقة التي تكافح عدوا مشتركا ..

والشعر العربي وهو يكافح من اجل فلسطين فانه يفتح جبهة نار جديدة على اعداء فيتنام الذين يستبيحون الحريات والحرمات ويسرقون اموال الشعوب ويكبلون قدراتها وانطلاقاتها .

والشعر العربي القومي ، بشكل عام ، هو دعوة خيرة للانسانية ، وصوت أصيل في سبيل العدالة والسلام ، وغضبة صادقة اللهيب من اجل القضاء على الاستعمار والامبريالية والرجعية والعملاء فوق كل شبر من العالم ..

ولهذا يلتقي شعراء العروبة في دعوتهم لتحرير فلسطين مع ثوار فيتنام الابطال عندما يساهمون في حفر خنادق جديدة للمستعمر الغاشم الذي يظهر في فلسطين بوجه وفي فيتنام بوجه اخر ..

وهكذا استطاع الشعر العربي ان يعيش القضية الفلسطينية وان يصبغ قوافيه بدم الضحايا وانفاس الشهداء ، وان يعيش مراحل النكبة وفصول المأساة بكل دقائقها ، وقلما خلا ديوان شاعر عربي من هتاف للعودة ، وصرخة من اجل الديار السليبة ..

ولئن قصرنا الشواهد في هذه العجالة على بعض الشعراء فما ذلك الا للاختصار وكسب الوقت .

ولعل استقصاء الشعراء الذين غنوا فلسطين وأغنوا الادب الثوري بشعرهم القومي حول النكبة يحتاج الى دراسة اوسع واشمل ليس هذا المقام مجالها ..

الشعر والوحدة العربية

ايها الاخوة ..

الحق ، ان دراسة دور الشعر في معركة الامة العربية من اجل

(1) من شعر صابر فلحوط

اطلب منشورات

دار الاداب

في الاردن

من

المكتب التجاري

لصاحبه محمد موسى المحتسب

القدس ـ تلفون ٤٤٦٥

عمان ـ شارع الملك حسين ـ مقابل بنك انترا

وخدنها وحريتها تحتاج الى مجلدات وكتب ، وذلك لان الشعراء العرب، في فترة اليقظة القومية ، فتحوا ابصارهم على الدنيا ليجدوا امتهم مجزأة مقسمة بفضل الاستعمار والجهل وعقلية الزعامات الموروثة وغيرها من الامراض الاجتماعية الفتاكة ..

وكان لا بد للشعر العربي من ان يكون داعيا للوحدة مبشرا بها ، مناضلا من اجلها ، معتبرا ان سعادة الوجود ورفعة الانسان العربي لا تتحقق الا :

يوم امشي في الاطلسي يميني دون حد وفي الخليج شمالي (١)

ويعتبر الشعر العربي ان الوحدة العربية امر محتوم ، وواقع طبيعي لا بد من ان تعيشه الجماهير المناضلة ... فاذا ما قامت عراقيل الاستعمار وحواجزه ، فتلك امور طارئة على الاصل والذي هو الوحدة :

يا هاتفا بالفرقدين تلاقيا
كلفت نفسك وصل ما لم يفصل
ما الشام وما وهران في البلوى سوى
عيني مولهة وحدي فيصل
ارايت ويحك مقلة هملت على
فقد الحبيب واختها لم تهمل (٢) ؟

والشعر العربي يصل الماضي العظيم بالحاضر الثائر دليلا على صلة تراثنا وتماسك ترابنا ولقاء ثوارنا في كل زمان ومكان .. فليخاطب الشعر العربي جميع المشككين بقدرتنا وعظمتنا ماضيا وحاضرا ومستقبلا:

سل عهد شامي وبغدادي واندلسي
عن عمق فلسفتي عن عدل احكامي
انا العروبة لي في مملكة
انجيل حب ، ولي قرآن انعام
ما ازهوهر الشرق الا تحت اعلامي
واخضوضر الغرب الا تحت اقدامي (٣)

واذا ما بدا الواقع اسود ، تعبث فيه ذؤبان التجزئة ، وتغير على الحمى أوباش الاستعمار والصهيونية فعلى الشعر العربي ان يطل من عالم الغيب ليبشر بالثورة ويحرب التحرير الشعبية :

قل للمغير على مرابعنا كالسيل ينفذ من هنا وهنا
حملت نفسك فوق طاقتها وركبت ويحك مركبا خشنا
فاجعل ضريحك جاهزا ابدا واعد نفسك واحمل الكفنا
ان لم يكن زمن يوافقنا للثار منكم نخلق الزمنا (٤)

ويختصر الشعر العربي المسافات والتخوم والحواجز ، ويذلل العقبات والصعاب ليحقق الوحدة العربية التي تربط ابناءها روابط الدم والشعور والاصالة والقربى ، فيستنكر دعاوى الانفصاليين والقطريين والاقليميين والرجعيين :

لم تنا لبنان عن مصر ولا بعدت بغداد والمسجد الاقصى وصنعاء
اي التخوم تناءت بين اربعها لها من الروح تقريب وادناء
ارض عليها جرى تاريخنا وجرى دم به كتب التاريخ آباء

فهذه الارض وحدة لا انفصال في اجزائها ، وهذا الشعب امة لا تفريق بين ابنائها شجرة واحدة الاصل عديدة الغصون والفروع تجمعها روابط هي مقومات وجودنا ، وسر خلودنا وأساس قوميتنا ..

والشعر العربي عندما يحدثنا عن هذه الروابط الوحدوية الاصلية فلا يعتمد على خريطة مكتوبة وحدود طبيعية مرسومة فحسب بل يعتمد على روح الثورة في الجيل العربي صاحب الوحدة وحارسها والمناضل لتحقيقها ، وعندما يتكلم الشعر فانه يتكلم باسم الدم العربي الذي يغلي على رحاب فلسطين والجزائر والجنوب العربي ... كما تتكلم الطلائع الثورية الزاحفة نحو النصر العربي الكبير ...

(١) شعر سليمان العيسى
(٢) شعر القروي
(٣) شعر القروي
(٤) شعر الياس فرحات

وقد امتزج الشعر العربي بارضه وسمائه ، باهله وذويه ، حتى بات جزءا من سنديانة البيدر ورمانة الكرم ، وعنقود الدالية ، ومجوز الراعي واغنية البدو ، بوحدة فيها من الصدق والجمال بمقدار ما فيها من الجلال والروعة والصفاء ..

وتأخذ الدعوة للوحدة العربية في بيدر الشعر اشكالا متعددة ولكنها تبقى جميعا في المجرى العميق الذي تصب فيه جميع السواقي الشاردة ، وذلك بسبب وحدة المنبع والمصدر ، ووحدة الهدف والمصير.. فالجيل العربي الذي يصنع الوحدة ، قدر العروبة في تاريخها الحديث، هذا الجيل يعرف نفسه ، يعدد ميادينه وساحاته ويذكر سبل نضاله ، ويحدد في النهاية هدفه المصيري العظيم :

أنا في بغداد أمواج الدما احرقت وجه السحاب الغيهب
أنا في صنعاء نار تقتلي فالعروش السود بعض الحطب
أنا في الاوراس شعب ثائر صامد عبر صراع النوب
أنا في النيل اسود دربها وحدة رغم دعاة الكذب
أنا شعب وليمت اعداؤه عربي عربي عربي (١)

الشعر والدعوة للحرية :

ان الشعر العربي توق دائم للحرية ، وشوق متقد لتحقيقها ونضال مستمر من أجل رفع رايتها واعلاء كلمتها ...

وقد تمكن الشعر العربي من ان يفتح العيون والاذهان على شمس الحرية ، وان يدعو لتشابك الزنود والقلوب في المعركة من اجل الحرية، وأن تستثير الهمم ويحفز الجماهير ، ويقود الثوار ، في سبيل النضال الدامي والكفاح المرير فدى للحرية وتأكيدا لوجودها ، وعربونا لانتصارها. فمنذ الجاهلية حتى اليوم ، والشعر العربي سراج الضياء الوهاج وصوت القافلة الحادي ودليل الاجيال الضائعة ، وناقوس الامل الذي يدق ليل نهار من أجل الحرية ... وقد فهم الشعر العربي الحرية على انها ثورة من أجل الوحدة العربية ، ومن أجل انسانية الانسان العربي ، وفسح المجالات امام مواهبه وامكاناته ليفجر طاقاته الكامنة ويخلق مستقبله العظيم .. وقد اتسم طابع الدعوة للحرية بالامر العنيف والالحاح الشديد والايمان الكبير بالشعب ، بالجماهير الكادحة ، وباللايين الضائعة في توابيت الاسى والعدم والتعب والالم ...

وها هي قد بدأت تتململ من قيدها وتتحرك تحت وطأة الصخور المكدسة على رأسها ، فتزيح الليل الثقيل عن أجفانها ، وتمضي الى مدارج النجوم ، ومعارج النسور لانها الشعب الذي لا يغلب ..

اللايين افاقت من كراها أتراها ملأ الافق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها بعد ما تاهت على الارض وتاها
حملت أفؤسها وانحدرت من روابيها وأغوار قراها
فانظر الاصرار في اعينها وصباح البعث يجتاح الجباها
يا أخي في كل أرض عريت من ضياها وتفطت برجاها
قم تحرر من توابيت الاسى لست أعجوبتها أو مومياها
انطلق فوق ضحاها ومساها يا اخي قد أصبح الشعب الها (٢)

ولعل تصوير الواقع المأساوي الذي تعيشه الامة العربية من تخلف وضعف وتجزئة وتحكم من قبل الاستعمار يشكل آكبر حافز على الثورة من أجل الوحدة والانقضاض على السادة العبيد الذين يذيقون الشعب مر العذاب والتشرد والالم :

ان في أضلاعنا مما جنى الدهر سعيرا
نحن املنا كثيرا فتألمنا كثيرا
ورجونا المجد تاجا فحملنا الذل نيرا
باعنا القادة أغناما وساقونا حميرا
اطعمونا الصبر فجا وسقونا عصيرا

(١) من شعر صابر فلحوط
(٢) من شعر محمد الفيتوري

فرشوا أوجهنا للفادر العاتي حصيراً (١)

هذه صورة سوداء قاتمة من صور العبودية عانى منها شعبنا وما يزال يعاني في بعض اجزاء الوطن العربي ، ومن يمكن ان يجلو هذه الصورة الا نضال الثوار وبطولات الطلائع التقدمية والقوى الثورية ، والجماهير العربية الكادحة ...؟

الشعر وامراض المجتمع العربي :

ان الشعر العربي ينسجم مع المبادىء العربية القومية التي آمنت بها الطلائع الثورية عقيدة وسبيل نضال ... ولهذا نجد الشعر العربي يعلن ثورته على الطائفية ، والاقليمية والانكالية وشتى الامراض الاجتماعية التي خلفتها عهود الفساد والاستعمار في مجتمعنا ... ولهذا نجد الشعر العربي يحدد العروبة ويعرفها على انها رسالة خير ومحبة وسبيل كرامة وتكافؤ للفرص بين الجميع ، بعيدا عن تعصب الحاقدين وتشكيك المغرضين :

ليست عروبتنا طقوس ديانية ... تذكى الجهالة باتعصب نارها
ليست تميز احمدا عن بطرس ... فالام ترعى بالسواء صغارها
وتضمهم فكانها قيثارة ... ضمت الى اضلاعها اوتارها
ما همها من لم يصل ولم يصم ... ما دام يحمي في الحروب ذمارها (٢)

ونرى الشعر العربي يجعل من الدين وسيلة وحدة لا سبيل فرقة، وذلك عندما يلتقي الدين مع أصله ومنبعه وهو القيم العربية الخالدة :

رتل نشيد عروبتي ترتيلا ... تسمع به القرآن والانجيلا
ربله تسمع نهر دجلة هادرا ... وخليجنا ومحيطنا والنيلا (٣)

وقد حارب الشعر العربي الانكالية والانهزامية وغيرها من أمراض المجتمع العربي التي تجعل المواطنين عالة على الوهم والغيبيات فحدد هذه السياسة بقوله على لسان فرحات :

صلى الجهول الى الباري ليرزقه ... وتا ونام ، فعاش العمر جوعانا
ولو سعى في سبيل العيش مجتهدا ... لكان من امره غير الذي كانا

أما اولئك الذين همهم المناصب والمراتب ، والمظاهر الفارغة فلهم من الشعر العربي القاب الهزء والغضبة القاصمة الظهر لانهم :

لا يبذلون لاجل الخير خردلة ... الا اذا قيل قبل الدفع قد دفعوا
قوم اذا قعدوا في منه بشمخوا ... ناسين كم قرعوا بابا وكم ركعوا
اذا تولوا على أصحابهم ضربوا ... فان تجلت لهم أربابهم ضرعوا
جور على ذا، وتعفير الجبين لذا ... كنائم السطح مطروح ومرتفع

وخاتمة القول ، ان هذه اللمحات من دور الشعر العربي في معركة فلسطين والوحدة العربية تدل بوضوح على رسالة الشاعر المسؤول والعبارة الهادفة ، والكلمة الملتزمة التي تحكم العالم هذه الايام ..

وقد استطاع الشعر العربي ان يكون نضالا من أجل فلسطين وكفاحا في سبيل الوحدة بالمقدار الذي تسمح له ظروفه كفن انساني ، فخلق ملء جوانحه ، وطاف جميع الميادين والساحات التي تمكن من الطواف بها والعمل فيها ...

فكان ، والحق يقال ، هتاف أمة تمضي نحو مطالع فجرها ، وهدير أجيال تنطلق في مواكب بعثها ، ونداء تاريخ ثوري يكتبه ابناؤه من جديد ... وسيبقى الشعر الثوري القومي قبسة في عتمات ليل النضال ، وبسمة تتحدى عبسات الاحداث وقيود المستعمرين ...

ولعمري انه شعر الثورة العربية الرائدة ، الشعر القومي الاصيل الذي يدق أبواب الخلود بكلتا يديه .

والسلام عليكم .

دمشق ـ سوريا

صابر فلحوط

(١) من شعر الياس فرحات
(٢) من شعر الياس فرحات
(٣) من شعر صابر فلحوط

السفير

البابا

آخر رواية للكاتب الشهير

موريس ويست

رواية الحرب القذرة في فيتنام ، كما يرويها سفير اميركي عين في سايغون وشاهد في اول يوم وصل فيه انتحار راهب بوذي .. وهو يقص هنا قصة تلك المنطقة التي تمزقها الخلافات السياسية والدينية والعسكرية وتدخل الولايات المتحدة الاميركية في هذا كله . ويعيش هذا السفير مأساة ضميرية اذ يكون عليه ان يختار بين رجل يحترمه (هو الرئيس كونغ) وبين طغمة من الجنرالات المتآمرين الذين تدعمهم المخابرات السرية الاميركية .. انه الصراع بين الاخلاق والانتهازية السياسية ، ولكنه كذلك مأساة شخصية يخرج منها السفير مجروحا في ضميره بحيث يهجر مهنته الدبلوماسية ليلتمس الخلاص الروحي بالقرب من راهب ياباني ..

وقد نجح موريس ويست ، وهو مؤلف رواية « محامي الشيطان » الشهيرة ، في تصوير حرب الفيتنام والدور الذي تلعبه فئة من الشخصيات المختلفة الفامضة ، وفي التعبير عن نزعة انسانية رائعة جعلت هذه الرواية في طليعة الروايات المعاصرة .

يصدر هذا الشهر